وإذا كان تأثير الإسلام فى فترة البعثة النبوية على هذا النحو أمراً واقعاً لا يصح الشك فيه ، فإن نشاط الحركة الأدبية فى هذه الفترة أيضاً قد استمر دون أن تخمد له جذوة أو يطفأ له شعاع . والمصادر القديمة من كتب الأدب والتاريخ وطبقات الصحابة تصور ذلك أصدق تصوير ، فلم يكن من المعقول أن يجهل العرب فى عصر النبوة سلطان الكلمة ونفوذها فى كل ما يعرض لهم من صراع ، وهم الذين عرفوا قدرها بالأمس ، وأعلوا شأنها فى الجاهلية سواء أكانت بيت شاعر أو قول حكيم أو خطيب . ومعروف أن الرسول عليه السلام فى دعوته كان أشد ما يكون حاجة إلى ذلك كله ، لأن نشر الدعوة كان الاعتماد الأول فيه على الكلمة والإقناع ، وما كانت غزواته عليه السلام حرباً من أجل الحرب أو العدوان . وإنما كانت دفاعاً عن حوزة الدين وصوناً لكيانه . ولذلك كان توجيه الدعوة للأدب كفيلا بأن يحميه فى هذا العصر من الضعف ، أو يتجه به إلى الركود والخمول . من ذلك ما يرويه « ابن سعد » فى طبقاته . يقول فى وفادة بنى تميم على النبى فى السنة التاسعة للهجرة حيث نهض بعض رؤساء الوفد للكلام : —

« فقال الأقرع (بن حابس) : يا محمد إيذن لى ، فوالله إن جهدى لزين وإن ذمي لشين . فقال رسول الله كذبت ذلك الله تبارك وتعالى . ثم خرج رسول الله صلعم فجلس وخطب خطيبهم وهو عطارد بن حاجب . فقال رسول الله صلعم لثابت بن قيس ابن شماس أجبه ، فأجابه . ثم قالوا : يا محمد إيذن لشاعرنا . فأذن له ، فقام الزبرقان بن بدر فأنشد . فقال رسول الله صلعم لحسان ابن ثابت أجبه ، فأجابه بمثل شعره . فقالوا والله لخطيبه أبلغ من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا ولهم أحلم منا »(١) .

---

(١) كتاب الطبقات الكبير — محمد بن سعد — الجزء الأول القسم الثانى — ص ٤٠ (طبعة أوربا / ١٣٣٥ هـ) .